# الفهرس

الميول ..... 2
مقدّمة ..... 2
الإشكاليّات ..... 2
النظرية التجريبيّة: نظريّة كونديلاك ..... 3
نقد النظريّة التجريبيّة ..... 3
النظريّة السلوكيّة: نظريّة ريبو ..... 3
نقد النظريّة السلوكيّة ..... 4
التوليفة ..... 4

# المحور الأول - الدرس الأول

# الميول

## مقدّمة

إنّ سلوك الكائنات الحيّة ومنها الإنسان ما هو إلّا تعبير عن ميل ما، ممّا دفع علماء النفس والفلاسفة إلى دراسة وتفسير وفهم سلوك وتصرّفات الكائنات الحيّة. وقد عرّف لالاند الميل على أنّه قوّة تتّجه اتّجاهاً محدّداً، ولكنّها تصادف العديد من العوائق، وهي لا تتّخذ شكلها الواضح إلّا بعد تذليلها للعوائق وانتقالها من عالم النفس إلى حيّز الفعل. وتمتاز الميول بالبساطة لأنّها في أساس كلّ تصرفات الكائن الحي، ولأنّها تشمل بشكل عامّ كلّ الكائنات الحيّة، وتُعتبر أصلاً ومنطلقاً لتفسير الحياة النفسيّة وانعكاساتها على الجسد، وتظهر عبر الحركة والسلوك أو الانفعالات العاطفيّة.

وقد اختلطت مفاهيم الميول والحاجات والدوافع والغرائز، لذا كان لا بدّ من تمييزها. فالميول هي الأصل لكلّ ما عداها، وهي التسمية العامّة للحاجات والدوافع والغرائز، وهي تَوجّه هادف ولا واعٍ، تحرّك الكائن الحيّ نحو هدف معيّن. أمّا الحاجة، فهي نقص يعتري الكائن الحيّ، ولا يتمّ إشباعه إلّا عند استهلاك الغرض الناقص.

وهناك نوعان من الحاجات :

- الحاجات العضويّة، وتكون عند كلّ الكائنات الحيّة، كإرواء العطش بشرب الماء.
- الحاجات الاجتماعيّة، وهي بمعظمها حاجات إنسانيّة ما عدا الحاجة إلى التجمّع، كالحاجة إلى الارتباط.

وتصبح الحاجة رغبة أو دافع عندما تقرن بشرط، مثلاً أنا بحاجة إلى مسكن، ولكن أرغب بمسكن على شاطئ البحر، وهي من خصائص الإنسان وحده، أمّا الغرائز فهي الأعمال الفطريّة التي تظهر من خلال فعل دون تعلّمه، وهي تبرز عند الحيوان أكثر من الإنسان، لأنّ الغريزة الوحيدة عند الإنسان تتمثّل بالارتضاع.

## الإشكاليّات

ما هي طبيعة الميول؟

هل يولد الميل نتيجة الإحساس باللّذة؟

هل يردّ الميل إلى الحركات؟ وهل كلّ حركة مؤشّر على وجود ميل؟

## النظرية التجريبيّة: نظريّة كوندياك

اختصر كوندياك موقف التجريبيّين بالتالي:

إحساس ← لذّة ← رغبة ← تكرار ← ميل.

"لا يوجد شيء في الذهن إذا لم يكن قد مرّ من قبل في الحواس". نفى كوندياك وجود قوى نفسيّة كامنة منذ الولادة سابقة للتجربة الحسّية، ويعتبر أنّ الروح خالية من أية معارف وإمكانيّات، وما يثبت فيها هو الإحساس فقط، وبالتالي هو الذي يتحوّل إلى ميول ورغبات. إذاً، فإنّ الميول مكتسبة بالتجربة وليست أصيلة بالفطرة، وهي مجرّد رغبات ناشئة عن تجربة. فإذا نتج عن أحاسيسنا شعور باللّذة، فإنّنا نرغب بتكرار هذا الإحساس، عندها يولد الميل. مثلاً إذا تذوّقنا طعاماً لذيذاً، وشعرنا باللّذة أثناء أكله، عندها تظهر عندنا الرغبة بتذوّقه مرّة ثانية، فيولد الميل. وكذلك الأمر بالنسبة لشمّ الروائح العطرة وغيرها...

## نقد النظريّة التجريبيّة

واجهت النظريّة التجريبيّة انتقادات عديدة؛ منها :

1. خلط التجريبيّون الميول العضويّة أي الحاجات التي تولد مع الإنسان لحفظ حياته، وبين الميول الواعية أي الدوافع أو الرغبات التي يدرك صاحبها الهدف منها.
2. إنّ الشعور باللّذة يفترض وجود ميل سابق للإحساس وليس العكس. فالطفل الرضيع يعبّر عن شعوره باللّذة عند تذوّقه سائلاً محلًّى، والعكس عند تذوّقه سائلاً مرّاً أو مالحاً.
3. صحيح أنّ الحواس هي المصدر الأوّل لمعرفة الإنسان، إلّا أنّ التجريبيّين بالغوا حين اعتبروها المصدر الأوحد للمعرفة، فلا بدّ من وجود مصادر أخرى تساهم في بناء قدرات الإنسان النفسيّة والفكريّة والعاطفيّة.

## النظريّة السلوكيّة: نظريّة ريبو

اختصر ريبو موقف السلوكيّين بما يلي :

← ← ← ←

ميل إحساس لذة رغبة تكرار.

لم يهتمّ السلوكيّون بالميل كقوّة كامنة أو حالة شعورية انفعالية داخلية، بل بوصفه سلوكاً يظهر بشكلّ استجابة أو حركة جسديّة. لذا يعتبر ريبو أنّ ميول الكائنات الحيّة، وخاصّة الإنسان تظهر في حركاته وسلوكه، والميل هو حالة تهيّؤ للحركة قبل حصولها بالفعل. فالحيوان المفترس يقوم بحركة حين يستعدّ للهجوم على فريسته، ثمّ تتسارع الحركة عندما يلحق بها، ثمّ يقوم بتمزيقها بأنيابه، وكلّها ميول مع اختلاف كمّية الحركة، وبالتالي من خلال هذه النظريّة يمكننا قياس وملاحظة وإعادة تجربة الميل، كما يمكننا فهم الميول بطريقة أكثر واقعيّة.

ومن هنا، فإنّ مجموع الحركات المتكرّرة التي تشكل عادة يمكن أن تنقلب ميلاً. فالمحاولات الأولى لشرب القهوة مثلاً تؤدّي بفعل التكرار إلى ولادة ميول عضوية جديدة.

## نقد النظريّة السلوكيّة

ككلّ النظريّات، تعرّضت النظرية السلوكية للنقد بالرغم ممّا قدّمته لدراسة النفس الإنسانيّة من خلال السلوك وردود الفعل؛ ومن النقد الذي وجّه إليها :

1. كثير من الميول قد لا تترجم بحركات، مثلاً من كان يملك ميلاً للصيد وتعرّض لحادث منعه عنه، فإنّه سيملك هذا الميل رغم عجزه عن ترجمته بالسلوك.
2. يعبّر الميل بحسب برادين عن نقص في الكائن الحي لا يسدّه سوى شيء خارجي. وقد ميّز بين "الميل نحو" أي النزوع نحو الشيء، وهو الميل الحقيقي كالميل نحو الطعام عند الجوع، وبين "الميل إلى"، أي النزوع عن الشيء، كالابتعاد بطريقة عفويّة عن النار إذا خفنا أن تحرقنا.
3. إنّ السلوك المتكرّر لا يولّد ميلاً، فلن يكتسب شرطيّ السير ميلاً لتحريك يده ولو اعتاد على هذه الحركة أثناء تنظيمه للسير، فتكرار هذا السلوك بطريقة عفويّة ليس دليلاً على أنّه أصبح ميلاً، وبالتالي فإنّ العادات لا تتحوّل دائماً إلى ميول.

## التوليفة

إنّ النظريّات التي تطرّقت إلى موضوع الميول، جميعها ساهمت في كشف جوانب في فهم الإنسان، إلّا أنّها جميعها كانت قاصرة لأنّ كلّ واحدة منها تناولت جانباً إنسانيّاً

واحداً تدافع عنه دون الأخذ بعين الاعتبار الجوانب الأخرى. إلّا أنّ الإنسان كائن اجتماعيّ ثقافي، إضافة إلى تأثّره بغرائزه اللّاواعية، وبالتالي لا يمكننا تجاوز دور العقل، الغرائز، والمجتمع،... في بلورة الميول الإنسانيّة التي ما زالت العلوم الإنسانيّة حتى اليوم عاجزة عن بلورتها بشكل نهائيّ.